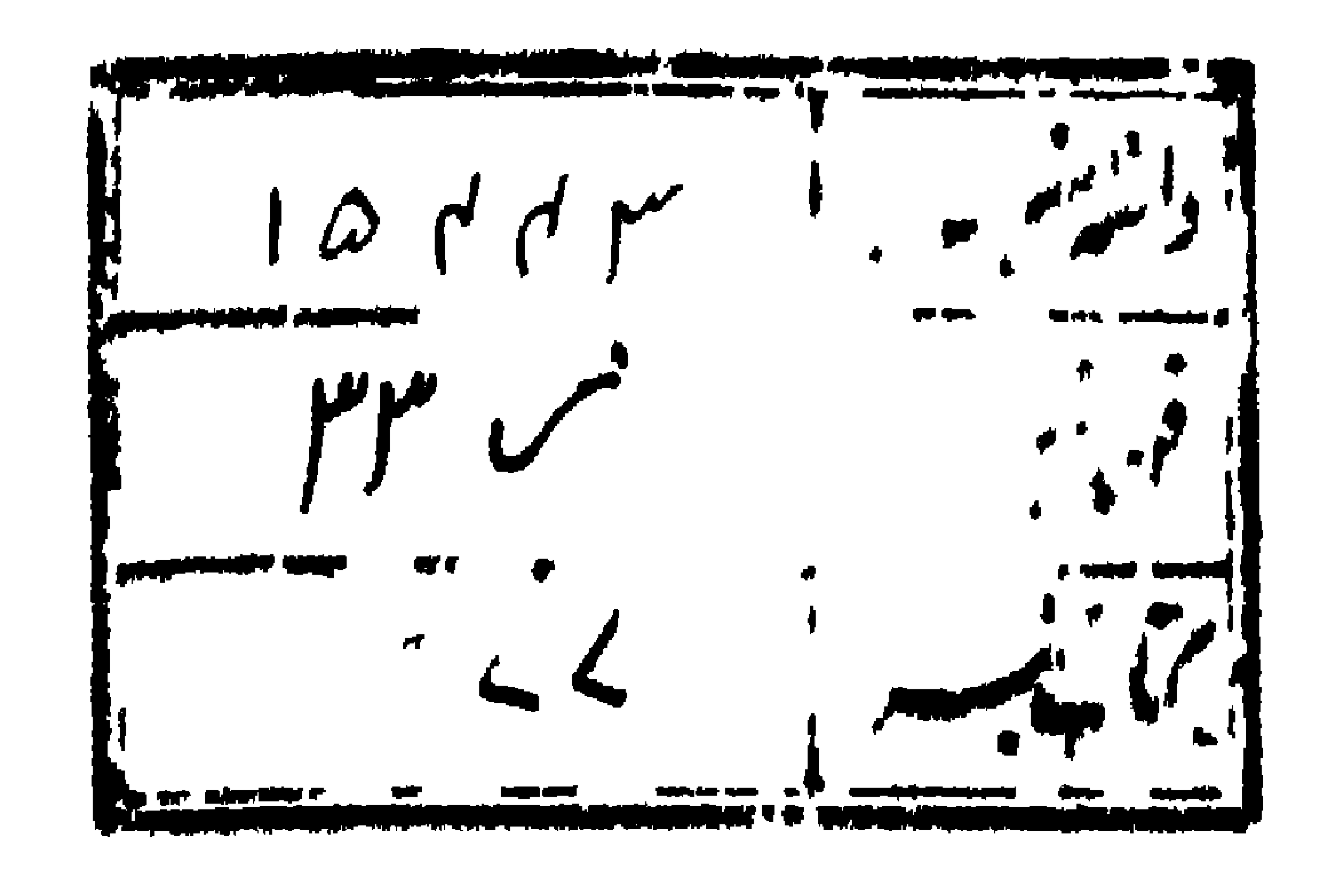







الانتقاد

على

كتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

اعتنی بطبعه

القاری محمد عبد الولی بن العلامة الآسی المرحوم

طبع

فی مطبعة آسی پریس الکائنة فی محمود نگر لکھنو

سنة ۱۹۱۲ء

جدول اصلاح ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	٧	رسايه	رسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	.	〃	٤	لترويح	لترويج
〃	١٣	الخزانة	خزانة	〃	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَلْتُ	حملت	〃	٩	لغير	تغيير
〃	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
〃	١٧	اتبز	ايتز	〃	٩	مهدى	المهدى
٤	١	تعرب	عرب				
〃	١٣	يحرّمون	يحرمون	〃	١٣	عرب	عربي
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	〃	١٤	عراب	عربي
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
〃	٤	ابن وقاص	ابن ابي وقاص	〃	٨	كوفة	الكوفة
〃	٦	حيرة	الحيرة	〃	〃	قضايه	قضائه
〃	١٤	وترميه	وترميهم	〃	〃	استنكفوا	لا استنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لانبايع
١٢	٢	ولدا	ولدًا
〃	٨	مرزولين	مزدولين
〃	١٠	المكل	المكل
〃	١٦	يمن	اليمن
١٣	٦	الوالى	من الوالى
〃	١٠	المسايل	المسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت
〃	١٦	حسن	المحسن
١٣	١	يكون	تكون
〃	٤	المسايل	المسائل
〃	١٢	يمن	اليمن
١٤	١	حجاج	الحجاج
〃	[illegible]	عقد الفريد	العقد الفريد
١٥	٥	مرزولين	مزدولين
١٥	٩	المجية	المهجية
١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	〃	الطبعى	الطبيعى
١٨	١٠	يادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	لرمتها	لرمّتها
١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	٨	مسايل	مسائل
١٩	١١	رمته	رمّته
〃	١٦	ولد للمروان	ولد لمروان
٢٠	١٥	بها	له
〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٧	يكن	تكن
٢١	٣	المراد	مراد
〃	٦	نال	نالت
٢٢	١	المختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
[illegible]	١٣	لعلج	العلج	〃	١٥	اليه	اليها
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ	〃	٢٨	طايفة	طائفة
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً	〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
٢٤	٦	ساير	سائر	〃	١٤	يجبترئ	يجترئ
〃	٧	يسر	بسر	٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	الموثوقة	الموثوق	〃	٦	امية	مية
٢٦	٢	يستثن	يستثْن	〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	٤	باس	بأس	〃	〃	ساير	سائر
〃	٥	كاك	كانت	٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	〃	رافعا	رافعة	〃	١٢	احدًا	واحدًا
〃	〃	هادما	هادمة	٣٢	٣	القريش	لقريش
〃	١٧	صنيعة	صنيع	٣٣	١	ليتس	ليس
٢٧	١	القايم	القائم	〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٨	قايمة	قائمة	〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم	〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحہ	سطر	خطأ	صواب	صفحہ	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية	۳۸	۱	كالان	كالاف
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم	〃	۵	الرهبة	الرهبنة
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية	〃	۷	ولكن	لكن
〃	〃	يكن	تكن	〃	۹	اليه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
〃	〃	شئ	شيئا				
۳۵	۱	عمالٍ	عمالا	〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
〃	۳	لحرب	الحرب	۳۸	۱۹	خياناتها	خياناته
〃	۸	نى	فى	〃	۲۰	التخئير	التغيير
〃	۱۶	الب	تالّب	۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۱۷	فتلوه	قتلوه				
۳۶	۲	اشرس	الاشرس	〃	۷	شاو	شأو
〃	〃	اشرس	الاشرس	〃	۱۵	العرب	عرب
〃	۱۵	الجزير	الجزية	〃	〃	العرب	عرب
۳۷	۲	المؤلف	للمولف	ج	۶	صح نوع	بنوع
〃	۱۳	لااجتراء	الاجتراء	〃	۸	المعاوية	معاوية

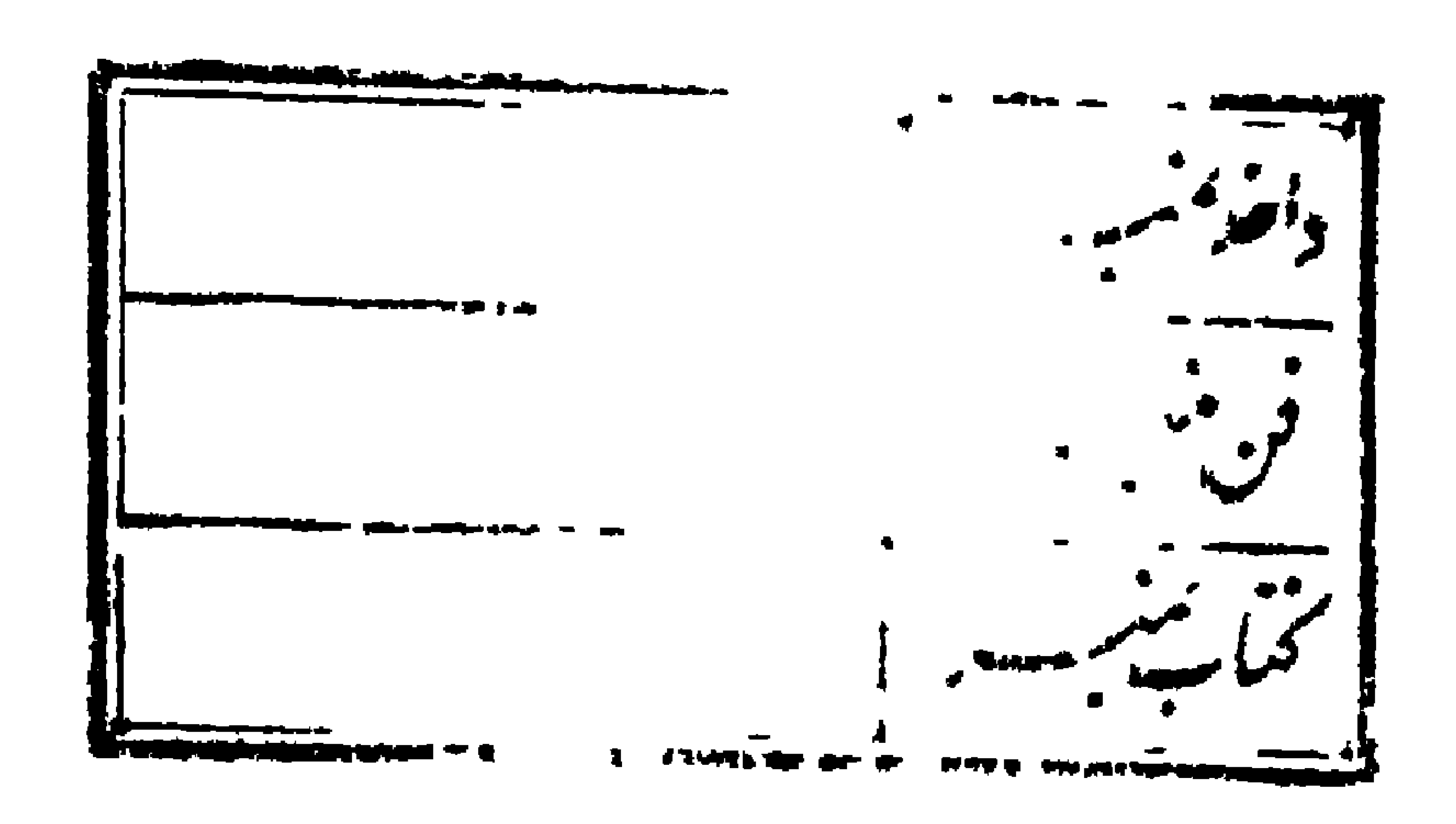
صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٣	أنظروه	انظروا	٤٧		نموذا	نفودا
〃	١٦	حوايج	حوائج	〃	١	الموديين	المؤدبين
٤١	١٠	لملك	الملك	〃	١٣	التصحيب في	التصحيف في
〃	١٥	حنفية	الحنفية	٤٩	٢	رجأ	رجاء
〃	١٦	كفاءة	كفاية	〃	٥	استودعت	استيداعها
٤٢	١	هذه	هذا	〃	١٥	يومين	يومئذ
〃	٥	خلفايهم	خلفائهم	٥٠	٣	صدونوا	صدونو
〃	٦	سوال	سوآل	〃	٤	فقد	.
٤٣	١	المودبين	المؤدبين	〃	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
〃	٥	ضرب	ضربت	٥١	٨	سالة	سأله
٤٤	٥	هنا	هناك	〃	١٠	الماضيين	الماضين
〃	١٥	الذين	فان الذين	٥٢	١٣	العلمين	العلمين
〃	٩	بيعة	سعة	٥٣	٦	اذا	واذا
٤٥	٨	صهاديج	صهاريج	٥٤	١٣	موسس	مؤسس
〃	٥	العف	الالف	〃	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٥	١	انتها	انتبه	〃	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
〃	٤	ذهب	ذهبت	〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	٧	القرات	القرآن	〃	١٦	امرة	امرءة
〃	١٥	النصبغ	النّصبغ	٥٩	١	باحراج	باخراج
٥٦	١	يوموغم	بأموغم	〃	٨	يهدم	هدم
〃	٤	من	عن	〃	١٣	الخزانة	خزانة
٥٧	٦	ساموها	ساموهم	٦٠	٢	تصزيح	تصريح
〃	٨	مواضع	موضع	〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	انفهم	انوفهم	〃	١١	مّا	ما
〃	١٤	تشأزعنها	تشأزمنها	٦١	١	محوبها	محوها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا		٠	ايضاحا	ايضاحه
〃	〃	عذبوهم	عذبوا	〃	٢	هذا	ذلك
〃	٤	تفتخرجها	يفتخرجها	〃	١١	قروءة	قراءة
〃	٧	خاب	خابت	〃	١٠	الايخيل	الانجيل
〃	〃	يكادلا	لايكاد	٦٢	٢	آتشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
۶۲	۱۶	بالاخبا	بالاخبار
۶۲	۵	ن المسئلة	كانت المسئلة
۶۴	۱۰	بن اسلام	بن سلام
۶۵	۱	عموو الورى	عمق السوارى
〃	۹	يكن	تكن
	۱۱	يتصل	تتصل
	۱۳	يكون	تكون
۶۶	۳	اخبار	الاخبار
۶۷	۱۳	صار	صارت
۶۹	۹	امبراطورة	امبراطرة
〃	۱۶	لو	ان
۷۰	۹	وشام	والشام
〃	۱۱	حيا	حا
〃	۱۳	ما	صا
۷۱	۱	الخزانة	خزانة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۰	لسان الاردو	اللسان الاردوى
〃	〃	احد من اهل	احد اهل
〃	۱۱	شطرُ	شطرٌ
〃	۱۵	الموشوقة	الموثوق
۷۲	۱	كان ضاعت	ضاعت
〃	۷	عليهم	علمهم
〃	۱۳	المصر	مصر
۷۳	۵	تقئيد	تقييدا
۷۴	۱۴	فراينا	فرأينا
۷۴	۱۶	لنصارى اهل الشام	انصار الشام
۷۵	۳	التضئيق	التضييق
〃	۶	الموثوقة	الموثوق
〃	۱۲	يجزونهم	يخبرونهم
۷۶	۹	فرجاة البضاعة	بضاعة مزجاة
〃	۱۰	اسماءً	اسماءٌ

صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب
۷۶	۱۷	المالك	مالكًا	۷۸	۸	الابراهيم	لابراهيم
〃	〃	محمد	احمد	۷۹	۱۲	وجها	وجهها
۷۷	۹	سبحنه	سبحنه	〃	۱٤	بجلع	بخلع
۷۸	۱۳	نسخته	نسخة	۸۰	۱۲	من احد	احد
۷۸	۸	الحماد	لحماد	〃	۱۶	فاخذ	اخذ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجائب، ومن احدث عجائبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف في تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة في النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد وتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا في العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسائسه، ان هذا الشئ عجاب

لم يكن المرء ليجترئ على مثل هذه الفظيعة في مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثاني من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى في الغي واسرف في النكاية بالعرب عموما وخلفاء بني امية خصوصا.

وكان يمنعني عن النهوض الى كشف دسائسه اشتغالي بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم أطق الصبر فاخلستُ من من اوقاتي اياماً وتصديت للكشف عن عوار هذا التاليف والابانة عما فيه من انواع الافك والزور واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

اي ايها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تاليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك واستشهدت بأقوالي و نصوصي ووصفتني بكوني من اشهر علماء الهند مع اني اقلهم بضاعة واقصرهم باعاً واخملهم ذكراً ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحني وتهجو العرب فتجعلهم غرضاً لسهامك ودريئة لرماحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم كل دنية وشر حتى تقطعهم ارباً اربا وتمزقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل بني امية لكونهم عرباً بحتاً من اشر خلق الله واسوئهم يفتكون بالناس ويسومونهم سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل يقتلون الذرية وينهبون الاموال و ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن،

وهل كنتُ ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر ابن الخطاب الذي قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح بني العباس فتعد من احدى مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتى ضرب بذلك المثل وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغاماً للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القرآن وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامراو جعل حولها طوافاً واتخذ منی وعرفاتٍ۔

وهب انی عدمت الغيرة على الملة والدين وافتخرت كصنيع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادم لكل عاطفةٍ ووجدانٍ فلا ارضى ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتالم وهب انی حملت نفسی على احتمال الضيم وقبول المكروه والصمم عن البذاء ومجازاة السيئة بالحسنة ومكافاة الخبيث بالطيب فهل كنت ارضى بان تشوه وجه التاريخ وتدمغ الحق وتروج الكذب فی تفسد الرواية وتقلب الحقيقة وتنفق التهم وتعود الناس بالخرافة بئس ما زعمت ايها الفاضل فان فی الناس بقايا وان الحق لايعدم انصارا

ان الغاية التی توخاها المؤلف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة، غير مجری القول ولبس الباطل بالحق بيان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوارٍ دور الخلفاء الراشدين، ودور بنی امية ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وكذلك الثالث (ظاهرا لا باطنا كما سيجیٔ) ولما غر الناس بمدحه للخلفاء الراشدين وهم سادتنا وقدوتنا فی الدين وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عم النبی وبهم فخارنا فی بث التمدن وابهة الملك، ورای ان بنی امية ليس لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خلى حسنة الا وانتزعها منهم، ثم لوكان هذا لاجل انهم من ال مروان اولكونهم من سلالة

اُمیّۃ لکنّا فی غِنیً عن الذبّ عنہم والحمایۃ لھم ولکن کُلّ ذنبھم انھم العرب علی صرافتہم ما شابتھم العجمیّۃ مُطلقًا کما قال

" ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانھا عربیۃ بحتۃ"، (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملۃ القول ان الدولۃ الاموےۃ دولۃ عربیۃ اساسھا طلب السلطۃ والتغلب"، (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۳)

عصبیۃ العرب علی العجم — اطال المولف واطنب فی اثبات ھذہ الدعوی فذکر طرفا منہ فی الجزء الثانی مدسوسا (انظر صفحۃ ۱۸) ثم جعل لہ عنوانا خاصًّا فی الجزء الرابع (۵۸)

وھذہ نصوصہ،

"فان العرب کانوا یعاملونھم معاملۃ العبید"

" واذا صلوا خلفھم فی المسجد حسبوا ذلک تواضُعًا للّٰہ"،

" وکانوا یُحرّمون الموالی من الکنی ولا یدعونھم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معھم"،

" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوۃ الا ثلثۃ حمارٌ او کلبٌ او مولیً"

"فکان العربی یَعُدُّ نفسہ سیدا علی غیر العربی ویری انہ خُلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ"،

"فتوهم العرب فی انفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا تحمل فی سن الستین الا قرشیة۔

" وان الفالج لا یصیب ابدانهم " ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا " ولا یزوجون الا عجمی عربیة ولو کان امیرا وکانت هی من احقر القبائل "۔

"وکان الامویون فی ایام معاویة یعدون الموالی اتباعا وارقاء وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهم ان یامر بقتلهم کلهم او بعضهم"

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارا شتی،

فمنها تعمد الکذب کما ستری"

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلة من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ وکانوا یقولون لا یقطع الصلوة الا ثلثة" الخ۔

غیر خافٍ علی من له المام بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم کتابه الی کسری العجم اشمأز وقال عبدی یکتب الیّ وکتب یزدجرد الی سعد ابن وقاص فاتح القادسیة ان العرب مع شرب البان الابل واکل الضب بلغ بهم الحال الی ان تمنوا دولة العجم فأفٍ لك ایها الدهر الدائر، و کانت ملوك حیرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم و استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع، ان لا فضل للعربی علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء ادم،،

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سببا لحدوث حزبین متقابلین یسمی احدهما الشعوبیة وهی التی تحتقر العرب وترمیه بکل معیبة حتی ان اباعبیدة صنف کتبا عدیدة یطعن فیها علی انساب کل قبیلة من قبائل العرب، والثانی المتعصبون للعرب وقد عقد العلامة ابن عبد ربه فی کتابه العقد الفرید بابا فی حجج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف فی اثبات عصبیۃ العرب هی اقوال ذکرها صاحب العقد فی هذا الباب کما لوّح به المؤلف فی هامش الکتاب۔ واذا تصفحت الکتب یظهر لك ان الاقوال التی نسبها الی العرب عموماً انما هی اقوال شرذمۃ خاصۃ موسومۃ باصحاب العصبیۃ وصاحب العقد حینما ذکر هذہ الاقوال صدّرها بقولہ " قال اصحاب العصبیۃ من العرب ،،

وانت تعلم ان هذہ العصبۃ لیست کافّۃ العرب ولا اکثرها بل لا عشر معشارها فانك ستری ان هؤلاء اناس شرذمۃ مغمورون فی الناس "

ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل ربّما نسب قول رجل معیّن معلوم الاسم الی العرب عامۃ "

فقال ناقلا عن کتاب العقد " وکانوا یکرهون ان یصلوا خلف الموالی واذا صلّوا خلفهم قالوا انا نفعل ذلك تواضعاً لله " فان صاحب العقد نسب هذا القول الی نافع بن جبیر فاخذہ المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذہ الصنیعۃ اعنی تعمیم الواقعۃ الجزئیۃ هی اکبر الحیل التی یرتکبها المؤلف لترویج باطلہ بل هی قطب رحی تالیفہ "

قال المؤلف " فادرك معاویۃ الخطر من تکاثرهم علی دولۃ العرب فهمّ ان یامر بقتلهم کلهم او بعضهم " (الجزء الرابع صفحہ ٥٩) ان نص معاویۃ الذی نقله المؤلف بعد هذہ العبارۃ هو هذا " کانّی انظر الی

وثبة منهم على العرب والسلطان فرایتُ اَنْ اَقتل شطرًا وَاَدعَ شطرًا" فانت
ترٰی ان الروایة علی تقدیر صحتها لیس فیها الا ان معاویة رای ان یقتل
شطرًا منهم ولکن المولف زاد علی العبارة وقال ان معاویة همّ ان
یا مر بقتلهم کُلِّهم۔

قال المؤلف فکانوا یعتقدون ان الفالج لا تصیب ابدًا نهم" (الجزء
الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فی هذه الدعوی بطبقات الاطباء کما لوّح فی هامش الکتاب
وایم الله لو کُنتَ تَقِفُ علی عبارة الطبقات لَوَقعتَ فی شکٍّ حیرةٍ من اجتراء
المؤلّف علی قلب الحکایة وتغییر الروایة، ذکر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عیسی الطبیب الراجح انه نصرانی" ان المهدی ضربه فالج فحضر المتطببون
ومنهم عیسی صاحب الترجمة فقال المهدی بن المنصور بن محمد بن علی
بن عبد الله بن عباس یضربه فالج لا والله لا یضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان یبذر ثم ابذورهم فی الرومیات والصقلبیات
وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحکایة المذکورة عن یوسف
الطبیب ان ابراهیم بن المهدی لما اعتل بعلة شبیهة بالفالج ودعا
یوسف وقال له ما العلة عندک فی عرض هذه العلة بی علمت انه کان حفظ

عن امه قول عیسیٰ ابی قریش فی المهدی وولدہٖ انه لا یعرض لعقب الفالج الا ان یبذروا بزورهم فی الرومیات وانه قد امّل ان یکون الذی بہٖ فالجا لا عارض الموت فقلتُ لا اعرف لانکارك هذه العلة معنیً اذا کانت اُمُّكَ التی قامت عنك دنباوندیة ودنباوند اشدُّ بردًا من کل ارضِ الرُّوم فکانه تفرج الی قولی وصدّقنی واظهر السرور»

فانت تری ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما کان مبناہ حرَّ ارض العرب ولیس له ادنیٰ مساس بشرف النسل ولو کان کما یتبادر الی الذهن من علا سماء اباء المهدی فهو یختص بعایلة النبی علیه السلام لا یفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذکر لابراهیم (وهو ابن الخلیفة مهدی) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ بردًا من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر کیف کان مجری الحکایة فغیّرها المؤلف وارتکب لذلك خیانات تتری

ثم ان هذا قول عیسیٰ الطبیب ولا یدری انه عربی ام لا وغالب الظن انه نصرانی وهب انه عرب فهو رجل من حاشیة الدولة یرید التزلف الی الخلیفة والتملق له فهل یکون قوله قول العرب کافّة

قال المؤلف "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربیٌّ" (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الروایة الی ابن خلکان

حقیقة هذا القول ان الحجاج لما اسر[1] سعید بن جبیر التابعی المشهور وکان من الموالی قال له ممتنا علیه اما جعلتك اماما للصلوة فی الکوفة ولم یکن فی الکوفة الا العرب قال ابن جبیر نعم ثم قال له الحجاج الیس انی لما اردت ان اولیك قضاء الکوفة ضج العرب وقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وقد ذکر الروایة ابن خلکان بطولها ولا یخفی علیك ان کوفة لم یکن اذ ذاك فیها الا العرب وظاهر ان القضاء لا یصلح له الا من کان عارفا بعوائد الامة مطلقا علی خصائصهم وکیفیة تعاملهم فیما بینهم وسعید بن جبیر لم یکن من العرب ولو کان استنکاف اهل کوفة من قضائه لاجل کونه من الموالی لاستنکفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنیفة کان من الموالی اراد وا ان یولوه القضاء فی عصر بنی امیة فامتنع ولم یرض بذلك وقد ذکر الواقعة ابن خلکان مفصلا۔

قال المؤلف "وحرموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان قرشیا" نعم ولکن لم یکن هذا للاستهانة به قال الاصمعی کانت بنو امیة لا یبایع لبنی امهات الاولاد فکان الناس یرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم یکن لذلك ولکن لما کانوا یرون ان زوال ملکهم علی ید ابن ام ولد[1]" اما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزید بن علی

[1] انظر الجزء الثانی من العقد الفرید طبع مصر صفحة ۳۳۰

انك ابن امة ولذلك لا تصلح للخلافة فقد رد عليه زيد وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولون الخلافة يزيد بن الوليد الاموی ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطر من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فی تاليفاته حان لنا ان نحقق اصل المسئلة ای ان العجم والموالی هل كانوا اذلاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فی عصر بنی امية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسودد ويوقف لهم او فی قسط والملحق اعلم ان البلاد التی كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فی عصر بنی امية هی مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امام يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابی رباح هو استاذ الامام ابی حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابى حبيب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصرى،
الكوفة،	ابراهيم النخعى،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعى كانوا الموالى وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم يذعن لهم العرب ويحترمهم خلفاء بنى امية وولاة الامر

فاما عطاء بن ابى رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فى الفتوى وعليه المعوّل فى المسايل، قال ابن خلكان فى ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فى زمان بنى امية يامرون فى الحج صايحا يصيح "لا يفتى الناس الا عطاء بن ابى رباح"، وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء واما طاؤس فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس فى جنازته حتى تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا على مكة فاستعان بالشرطة ومشى فى جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعا نعشه على عاتقه وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموى ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمة طاؤس فهل یکون منزلة اعظم من ذلك،

واما مکحول الشامی فاحد الایمة المتبوعین وقال الزهری العلماء اربعة فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فهو الذی ارسله عمر بن عبد العزیز لیفقه الناس فی مصر ویفتیهم فی المسایل وهو المعلم الاول لهم کما صرح بذالك السیوطی فی حسن المحاضرة واما میمون بن مهران فمع فضیلته وسیادته کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرة کما صرح به ابن قتیبة فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن له الملوك والسادة والقواد وعلیه المعوّل والیه المنتهی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیة الحدیث للعراقی (طبع لکهنؤ صفحه ۴۹۰،۴۹۹) ان هشامًا قال للزهری من یسود اهل مکة قال عطاء قال بم سادهم قال بالدیانة والروایة قال هشام نعم من کان ذا دیانة حُقّت الریاسة له ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذالك سال عن مصر والجزیرة وخراسان والبصرة والکوفة فاخذ الزهری یعد اسماء سادات هذه البلاد وکلما سمّی رجلا کان هشام یسأل هل هو عربی ام مولًی وکان یقول الزهری مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انه عربی فقال هشام الاٰن فرجت عنی والله لیسودن الموالی العرب ویخطب لهم علی المنابر والعرب تحتهم"

انّ التابعین لهم اعلی محل فی تاریخ الاسلام۔ وراسهم

سعید بن جبیر وهو اسود وقد ولاه حجاج بن یوسف امامة الصلوٰة فی

الکوفة کما ذکره ابن خلکان فی ترجمته والکوفة اذ ذاک جمجمة العرب

وقبة الاسلام وهل یصح بعد ذالک دعوی المؤلف ان العرب کانت

تستنکف عن الصلوٰة خلف الموالی،

وهذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلة

من العز والشرف انه لما کتب الیه الخلیفة هشام بن عبد الملک

ان یکتب له مناقب عثمان ومساوی علیٍ اخذ کتاب هشام والقمه عنزا

کان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب کتابک (ابن خلکان

ترجمة الاعمش)

وهذا حماد الراویة الذی دوّن المعلقات وله المکانة الکبری فی

الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیة تقدمه وتوثره

وتستزیره کما ذکره ابن خلکان،

وهذا سالم بن عبد اللّٰه بن عمر کان ابن امة ولما دخل الخلیفة

هشام بن عبد الملک المدینة ارسل الیه یدعوه فاعتذر فدخل

علیه هشام ووصله بعشرة الاف ثم لما حج ورجع کان سالم

اذ ذاک مریضا فذهب لعیادته ولما توفی صلی علیه وقال

لا ادری بای الامرین انا اسر بحجتی ام بصلوتی علی سالم، له

له عند الذهبی فی ترجمة هشام بن عبد الملک

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العبّاس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالا للريب - ولا متسعًا للشك، قال

" وانما ذكرناهذا لتقدم قريش في اكرام مواليها، ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدًا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال قد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل، قالت عائشة لو كان زيد حيًّا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبدالله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة علىّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احبّ الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط ولعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله..... وكان ادّى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال على بن ابى طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهديّ نظر اليه وبيد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخى و ابن عمى عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهدىّ كالمازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول "ومولاى" فانفض والله يده من بين يدى فتبسم امير المؤمنين المهدى ولم يكن الاكرام للموالى في جفاة العرب زعم الليثى انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال انصفنى والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق [illegible] وان وجّه الىّ مولى مثل هذا وما الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضًّا

لما يكره وجهت اليه وادماً الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى
تبهأ بمثله العرب فضل قيل الرجل لابيه والمولى لمواليه وفى بعض الاحاديث ان العتق من
طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة
فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذه ما يحل لنا
ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان كان من جلة الرجال
نازع عمرو بن هلال المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى
حتى اذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه ساقا كف عنه ثم
قال يا عمرو قد اريتك القدرة وساريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة
ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سال عنها
فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وابلداه وان قيل مولى وعجمى قال
اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو
بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم
عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخر اترى هذه العجم
تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل
ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و ١١، و ١٢، طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور:

١- ان اكرام الموالى كان من دين العرب عامة وقريشها خاصة۔

٢- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم۔

٣- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولو اخذنا نأتی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام وملّ الناظرون
ویظهر مما مرّ علیک ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من
الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدمهم وتقتدی بهم
وترفع شأنهم، فصحیح قول المؤلف بعد ذلک ان الموالی وابناء الاماء کانوا
فی عصر بنی امیة مرذولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان
العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة — المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو
ان الامة العربیة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای
الجور والقسوة والهمجیة وسفک الدماء والفتک بالناس ولکن لما کان
لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحاً احتال فی ذلک فتمحّض لمذهب جعل
الکلام طیّباً لظاهر وذلک بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار، فمدح
سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها.

علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او
تقتضیه سیاسة الملک وانما هی خلافة دینیة توقّفت الی رجال یندر
اجتماعهم فی عصر، فاهل العلم بالعمران لا یرون هذه السیاسة
تصلح لتدبیر الممالک فی غیر ذلک العصر العجیب وان انقلاب تلک الخلافة
الدینیة الی الملک السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحہ ۳۰ و ۲۹)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة اما دور العباسيين فما حمده ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواما وتلفا ونظاما وصرح بذلك فقال"

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فى عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياناتها فهى فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادارو شئونها ومنهم وزرائها وأمراؤها وكتابها وحجابها،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع ان الدولة العربية الساذجة انما هى دولة بنى أمية فقال،

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

"وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وان دولة بنى العباس دولة فارسية وان الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ یعدد مثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدین واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمین ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانی فی مطاوی هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحریف والتبدیل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القیاس والآن اذکر نبذًا منها واکشف عن جلیة حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمین، قال المؤلف تحت هذا العنوان،

أما عبد الملك فكان یری الشدة ویجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدین، لانه صرح باستهانة الدین منذ ولی الخلافة ... ذکروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة کان قاعدا والمصحف فی حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بینی وبینك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان یضرب الکعبة بالمنجنیق وان یقتل ابن الزبیر ویحتز راسه بیده داخل مسجد الکعبة .. وظلوا یقتلون الناس فیها ثلاثا وهدموا الکعبة وهی بیت الله عندهم واوقدوا النیران بین احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ٧٠ و ٩٢)

الحکایة علی الاجمال ان ابن الزبیر ادعی الخلافة فملك الحرمین والعراق وکاد یغلب علی الشام وکان امره کل یوم فی ازدیاد وبازائه بنو امیة فی الشام فلما تولی عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الی ابن الزبیر فحاصره ولاذ ابن الزبیر

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير كما يجيء تفصيله
يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير
ولكونه لائذا بالكعبة اضطر الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز
عن رمي الكعبة فحول وجهها الى زيادة ابن الزبير فانظر كيف غير المؤلف مجرى
الحكاية فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال
للقرآن هذا فراق بيني وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم
الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهم بل يستيقن ان
عبد الملك تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل
الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتل ابن الزبير كان اما لانه دافع عن مكة او
لكونه ايضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم
فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني امية من المدينة فخرج مروان
وابنه عبد الملك وهو عليل مجدر فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير
افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة[1] والبغضاء
حتى انه ترك الصلوة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل
سوء يرفعون رؤسهم اذا سمعوا به ومنها[2] انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن
الا لرمتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا مالوفا للناس ولذلك تحرز النبي عليه السلام

[1] اليعقوبي طبع يورپ صفحه ٣١١ من الجزء الثاني [2] الجزء الثاني من اليعقوبي صفحه ٣١١ -

عن ادخال الحطیم فی الکعبۃ فاتخذ الحجاج ہذہ الامور وسیلۃ لاغراء الناس علی
ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی ہذہ الاعمال ولکن من شریطۃ العدل
ان نوفی کل احد قسطہ من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منہ
اعتذارا فان ابن الزبیر ہو البادیٔ والبادیٔ اظلم ویظہر من ہذا ان عبد الملک
ما اراد الحط من شان الکعبۃ ومس شرفہا ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع
ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذلک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبۃ
حولہا عن الکعبۃ وجعل الغرض الزیادۃ التی کان زادہا ابن الزبیر صرح بذلک
العلامۃ البشاری فی احسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقہ ان البغاۃ اذا تحصنوا
بالکعبۃ لا یمنع ہذا عن قتالہم ولذلک امر النبی فی قصۃ الفتح بقتل احدہم وہو
متعلق باستار الکعبۃ وابن الزبیر کان عند اہل الشام من البغاۃ والمارقین عن الدین
ولو کان اراد الحجاج الاستہانۃ بالحرم فما کان مرادہ من رمّتہ واصلاحہ
بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج ہو الیوم کعبۃ الاسلام وقبلۃ المسلمین کافۃ
اما قول عبد الملک للقران ہذا فراق بینی وبینک، فحقیقتہ ان
عبد الملک کان قبل الخلافۃ ناسکا منقطعا الی العبادۃ لا یشتغل بشیء من الدنیا
قال نافع ما رایت فی المدینۃ اشد نسکا وعبادۃ من عبد الملک ولما سألوا ابن
عمر الی من نرجع فی الفتوی بعدک قال ولد المروان وکان یقول ابن الزناد الفقہاء
فی المدینۃ سبع احدہم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدت

علی المفضل لا عبد الملک بن مروان، ذکر کل هذه الاقوال العلامة السیوطی فی تاریخه
الخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو یقرء القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا
العبأ لا یمکن تحمله الا المنقطع الیه فقال تحشر اهذا اخر العهد بك ای الان لا یمکن
الانقطاع الی العبادة وقراءة القرآن کما کان دابی و لا ولیس هذا علی سبیل الاستهانة
بالدین مطلقا فانا نری اشتغال عبد الملک بالفرائض والسنن فیما بعد فهو یصوم
ویصلی ویحج قال الیعقوبی فی تاریخه واقام الحج للناس فی ولایته سنته
الحجاج بن یوسف وسنة وسنة الحجاج ایضا وسنة عبد الملک بن مروان
وسنة ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ابان ایضا وسنة وسنة وسنة
ابان ایضا وسنة سلیمان بن عبد الملک (وسرح باقی لسنوات فترکناها)
وعبد الملک هو الذی کسا الکعبة الدیباج فهل هذا صنیع من یرید الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"ویحتز راسه بیده داخل مسجد الکعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩٧)

استند المؤلف فی هذه الروایة بالعقد الفرید لابن عبد ربه والاستناد
بمثل هذه الکتب فی مثل هذه الوقایع هو من احدی حیل المولف المعتادة
بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبیر مذکورة فی الطبری وابن الاثیر وغیرها
من المصادر التاریخیة المتداولة الموثوقة بها وعلیها المعول والیها المرجع لکن
لما لم یکن کیفیة الحادثة فی هذه الکتب وفق هوی المؤلف اعرض عن هذه کلها

وتشبث بكتاب هو فى عداد المحاضرات انما يرجع الى امثال اذالمرء يكون فى لباب مستند غيره ومتى سالم يخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبد الله بن الزبير اصيب فى الحجون وقتل هنالك قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"

قلنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصب المناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اول ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وانشد،

اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد

اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله مزقنى الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلوم ان صاحب الاغانى شيعى ديانته شنان بنى امية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقل الروايات والذين

قولهم فصل في هذا الباب فيجعل من امثال هذه الروايات المختلقة وقال العلامة الذهبي وهو راس الحديث ومرجع الرواية "لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك" (تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الوليد)

ثم ان هنالك امراً آخر وهو ان القائم على الوليد وقاتله هو خليفة اموي، فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بني امية عامتهم ثم ان هذا الذي عزا اليه صاحب الاغاني الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبئ عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شانه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد[له] انه شكا رجل من بني مخزوم ديناً لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقاً قال يا امير المومنين كيف لا اكون مستحقاً في منزلتي وقرابتي قال قرأت القرآن قال لا قال فادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضيب في يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرء القرآن فقام اليه آخر فقال يا امير المومنين اقض ديني فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشراً من الانفال وعشراً من براءة فقرء فقال نعم نقضي دينك وانت اهل لذلك" فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرء القرآن علجاً والمؤلف يعد الوليد علجاً،

فاما ما ذكره المؤلف من اقوال الحجاج وخالد القسري انهما كانا

[له] العقد الفريد جلد ثاني صفحه ٣٢٨

يفضّل الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقًّا ولكن كو لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فى الدولة العباسية كالجاردة وابن الراوندى الذى عمل كتابا ردّ فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بنى امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقر فى جهنم ويهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسرى استخف بامرأة مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلا او رجلين من بنى امية بالطاعن لا عترفنا به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعة والقلّ نوعًا والنادر عامًا والشاذ مطردا۔

جور بنى امية سمعنا بظلم بخت نصر وأحطنا علما بشنايع چنگيز خان واطّلعنا على ما جنته ايدى التتر فوالله (لو صدق المؤلف) هم كانوا اشد قسوة ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بنى امية،

قال المؤلف حتى فى ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×

وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

في الارض ويقتلوا كل من وجد وه من شيعة علي ولا يكفوا ايديهم عن النساء والصبيان (الجزء الرابع صفحة ۲۰۸)

قبل ان اكشف عن جلية الامر لابد من تقديم مقدمة، وهي ان المؤلف مدح بني العباس في جعل عمالهم مناط العدل ودلالة على الرفق فقال،

ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة توطد دعائم الامن واذا امن الناس على ارواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ويرفه اهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ۱۰۸)

وعلى هذا فاذا وجدنا بني امية معادلين لبني العباس في جميع اعمالهم سواءً بسواءٍ كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جورًا فاحشًا وميلًا عظيمًا، ثم ان هناك امر اخر وهو ان المورخين باسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انه لم يكن يستطيع احد ان يذكر محاسن بني امية في دولة العباسيين فاذا صدر من احدٍ شيءٌ من ذلك فلتة كان يقاسي قائلها انواعًا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة وكم لنا من امثال هذه في اسفار التاريخ، ومع اننا نفخر بان مورخي الاسلام كانوا اصدق الناس رواية واجرءهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة سلطة ملكٍ ولا مهابة جائر ولكن مع ذلك فرق بين تعمل الكذب والسكوت عن الحق ولذلك نعتقد انهم ما قالوا شيئًا افتراءً على بني امية ولكن ان قلنا انهم كثيرًا ما سكتوا عن محاسنهم فذلك شيء لا يدفع وليس فيه غض منهم۔

اما بنو العباس فكانوا فی عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحیوٰة وسخطهم الموت، فالوقیعة فیهم والاخذ علیهم ما کان یکن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام فی الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الی قول المولف ان معاویة امر بقتل النساء والصبیان، اعلم ان هذه الواقعة ای رسال بسر ابن ارطاة الی شیعة علیؑ من اشهر الوقایع المذکورة فی سایر کتب التواریخ ولیس فی احد منها قتل النساء والصبیان بل فیها ما یخالف هذه الروایة قال المورخ الیعقوبی "ووجه معاویة بسر بن ارطاة وقیل بن ابطاة العامری من بنی عامر بن لوی فی ثلثة الاف رجل فقال له سر حتی تمر بالمدینة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم یکن دخل فی طاعتنا واوهم اهل المدینة انك ترید انفسهم وانه لا براءة لهم عنه الخ"

"حتی تدخل مکة ولا تعرض فیها لاحد وارهب الناس فیما بین مکة والمدینة"

"ثم امض حتی تاتی صنعاء فان لنا بها شیعة وقد جاءنی کتابهم فخرج بسر فجعل لا یمر بحیّ من احیاء العرب الا فعل ما امره معاویة (الیعقوبی طبع اوربا صفحه ۲۳۱ من الجزء الثانی)

فتری فی هذه العبارة انه لم یکن هناك الا تخویف وتهدید وایهام لما دای المؤلف ان المصادر التاریخیة الموثوقة بها لا توجد فیها ما یوافق هواه جنح الی الاغانی ونقل امر معاویة بقتل النساء والصبیان ثم اعتذر عن معاویة بان المظنونات

قال یذکر جور العمال "واذا اتی احدهم بالدراهم لیودیها فی خراجه یقتطع الجابی منها طائفة ویقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانی صفحة ۲۲ واستند فی الهامش بکتاب الخراج لابی یوسف صفحة ۶۲)

ایها الفاضل المولف! الیس لك وازع من نفسك، الیس لك رادع من دیانتك. اتجترئ علی مثل هذا الکذب الظاهر والمین الفاحش جهرة فان القاضی ابا یوسف ما تکلم فی شان عمال بنی امیة ببنت شفة وانما ذکر عن عمال هرون الرشید واساءتهم العمل فی جبایة الخراج وکتاب الخراج لابی یوسف بین ایدینا وقد طبع فی مصر وتداولته الایدی وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفی کلام القاضی ابی یوسف فی عرض وصیته للرشید بشان عمال الخراج ما یبین الطرق التی کان اولئك الصغار یجبون الاموال بها قال "بلغنی انه قد یکون فی حاشیة العامل والوالی جماعة منهم لو به حرمة ومنهم من له الیه وسیلة لیسوا بابرار ولا صالحین یستعین بهم ویوجههم فی عمالة یقتضی بذلك الذمامات فلیس یحفظون ما یوکلون بحفظه ولا ینفقون من یعاملونه انما مذهبهم اخذ شیء من الخراج کان او من اموال الرعیة ویقیمون اهل الخراج فی الشمس ویضربونهم الضرب الشدید ویعلقون علیهم الجرار ویقیدونهم بما یمنعهم من الصلوة وهذا عظیم

عبداللہ شنیع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ٢٣٣ و ٢٣٣) مستنداً الی کتاب الخراج صفحہ ٦١ و ٦٢)

الله اکبر! هل سمع احدٌ باعظم من هذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی ابو یوسف من عمّال هرون الرشید ویرفع القضیة الیه ویبین ما بلغه مما یرتکب عماله فی اخذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقواله وینقلها من حیث انما هی الطرق التی کان عمال بنی امیة یجمعون الاموال بها، ها هو کتاب الخراج بایدینا قرءناه وقلبناه ظهراً عن بطنٍ وکررنا فیه النظر کرةً او کرتین بل مرات متوالیة متتابعةٍ فما وجدنا فیه کلمة فی شان عمال بنی امیة وانما قال ما قال ابو یوسف یعظ الرشید بما بلغه عن عماله الی ان خاطبه بقوله،

فلو تقربت الی الله عزوجل یا امیر المومنین ابالجلوس لمظالم رعیتک فی الشهر او الشهرین مجلساً واحداً تسمع فیه من المظلوم وتنکر علی الظالم رجوت ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیته ولعلک لا تجلس الا مجلساً او مجلسین حتی یسیر ذلک فی الامصار والمدائن فیخاف الظالم وقوفک علی ظلمه فلا یجترئ علی الظلم ،، ،، مع انه متی علم العمال والولاة انک تجلس للنظر فی امور الناس یوماً فی السنة لیس یوماً فی الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (کتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٣)

لا فض فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على مالك جبار كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة وما اكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة عمال بني امية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فاعوزك كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئا من مثل تلك الفظائع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية،

قال المؤلف وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من اهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيئ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥)

الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه

"وكان من جملة نتائج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم سائر الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلا على ان العرب وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظنا منهم ان اموالهم

واعراضهم أبيحت لهم مطلقا۔

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد فى خلافة الفاروق تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا ان الارض مقسومة بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وُفِّق الى الاستناد بنص القرآن فسكتوا ورضوا والقصة مذكورة بتفاصيلها فى كتاب الخراج للقاضى ابى يوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فتعين كان الخراج او الجزية شيئًا مسمى معينًا ما كانوا يرون الزيادة عليه واذا كثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فكان الخراج او الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمرو "ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم" وقد اشار الى ذلك المقريزى فى تاريخه والعلامة السيوطى فى حسن المحاضرة فاما قول سعيد بن العاص الذى استند به المؤلف فتحريف الكلام عن موضعه على جارى عادته فان المولف نقل هذه الرواية من الاغانى والمذكور فيه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم نعم ويا ليته كان لاميرنا فقال بعض من حضر لا نعطى ارضنا للامير فقال الرجل ولو شاء الامير لاخذه فانكروا قوله فقال سعيد بن العاص "السواد بستان قريش الخ" فقال الرجل لا انه من منايح رماحنا" فانت ترى ان النزاع بين الجند و امير البلد هنا هو النزاع الذى كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق واى متشبث فى ذلك للمؤلف۔

فان سعيد بن العاص قال ما قال ردًّا على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحى البلاد بل هى تحت يد الخليفة او من ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشًا لان الخلافة على زعمهم للقريش خاصة،

قال المولف،

فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا يبالون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد "اصطفى لى الصفراء والبيضاء فكتب زياد الى عماله بذلك واوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهبا ولا فضة" (الجزء الرابع صفحته ، واحال الرواية فى الهامش على العقد الفريد صفحة ١٠ من المجلد الاول)

ننقل ماخذ هذه الرواية كما صرح به المولف فى الهامش لترى خيانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظير هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبى ان زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفارى وكان على الطائفة ان امير المومنين كتب الى ان اصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه انى وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المومنين ثم نادى فى الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفئ" (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٠)

فانظر اولاً، انه لیس فی هذه الروایة ان معاویة کتب الی زیاد بل ان زیاد کتب الی الحکم ان امیر المومنین کتب الیّ، ولعل زیاد کذب فی ذلك او فهم غیر ما اراد معاویة بقوله،

ثانیاً، ان المولف حذف کل ما قال الشعبی وما عمل به من تقسیم الفیٔ، لدلالته علی ان فی عمال بنی امیة من لا یمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ۔ لا ولاة الامصار ولا من فوقهم ای الخلیفة نفسه،

ثالثاً، انه لیس فی هذه العبارة ما یستدل به علی استئثار معاویة المال لنفسه فان مراده ان العمال لیس لهم تقسیم الفیٔ، بل الامر موکول الی الخلیفة فعلی العامل ان یجمع الاموال ویرسلها الی الخلیفة وللخلیفة ان یضعها موضعها،

قال المولف،

لافکان العمال یبذلون الجهد فی جمع الاموال بأیة وسیلة کانت و مصادرها الجزیة والخراج والزکاة والصدقة والعشور واهمها فی اوّل الاسلام الجزیة ولکثرة اهل الذمة فکان عمال بنی امیة یشتد دون فی تحصیلها فاخذ اهل الذمة یدخلون فی الاسلام فلم یکن ذلك لینجیهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزیة ولیس رغبة فی الاسلام فطالبوهم بالجزیة بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن یوسف واقتدی به غیره من عمال بنی امیة فی افریقیة وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهو يؤدون البقاء فيه وخصوصاً اهل خراسان وما وراء النهر فانهم ظلوا الى اواخر بنى امية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ۷۰)

ذكر المؤلف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطأة على القلب يترائى للناظر فيها ان الناس حيطوا من كل جانب جوراً وعدواناً فاذا ابقوا على الكفر يعانون من الشدة ما يلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلاً عسكرياً فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير ماخوذ بها اما من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يودى شيئاً من المال ليكون عدة للعسكر وعوناً له واول من سنّ الجزية وجعل لها وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بانها هى الوضايع التى قدرها عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرهما ان اقواماً من النصارى فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شئ يحتم بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى البلدان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا او مكرها، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم.

۲- ولما لم ينفصل الامر بتةً وبقى للاجتهاد موضع ومتّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام.

۳- ولكن مع هذا لم يتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الامرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله امّا ففى سنة ۸۰ لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يأمره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة ۱۰۰ فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن ابى مسلم فى افريقية سنة ۱۰۲ امر الناس عليه و قتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنت مستحسنا

عمل يزيد والقصة مذكورة فی الكامل تحت حوادث سنة ١٠٢ وكان اخرما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فی خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم اما خلفاء بنی امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية علی من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة فتركه والقصة مذكورة فی المقريزی بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المولف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم علی يد ابن الاشعث انكارا علی صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانی صفحة ٣٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابی مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم ای قتلهم يزيد بن ابی مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية علی حديثی العهد بالاسلام لم يامر به احد من خلفاء بنی امية وانما كان اجتهادا من بعض العمال بناء علی ان اسقاط الجزية يورث نقصا فی الخراج وان الخلفاء كلما عثروا علی ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تالب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل اوزار بعض العمال على بنى امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بنى امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بأمر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثانى صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثانى صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزى صفحة ٤٩٢ من الجزء الثانى)۔

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزى "ثم قدم اليعاقبة فى سنة احدى وثمانين الاسكندرية فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الا دينار وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل حالم دينار دينار وهى اول جزية اخذت من الرهبان" (الجزء الثانى من المقريزى صفحہ ۴۹۲)

فهل تجد فى هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز او احد غيره شدد فى الجزية فاختار الرهبنة طلبا للنجاة من الجزية فما نقعهم وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصا لا فى الكتاب ولا فى السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز واخطاء،

الله هذا البحث | لو سردنا كل ما قال المؤلف عن جور بنى امية وعمالهم واستيثارهم الاموال واسرافهم فى استلابها وبيّنا ما فى كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة فى النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسايسه مع انه قُلّ من كلٍ وغيضٌ من فيضٍ[1]،

[1] ومما يناسب ذكره فى هذا المقام ان المؤلف لما اخذ الجزء الاول من كتابه ارسله الىّ فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك لاجل انى كنت اخاف عليه التدليس، فاظهر المؤلف فى مقدمة الجزء الثانى انه عمل بذلك، ويذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة [illegible] اردتها وبسبب ذلك ما اهتدنا الى اكثر خياناتها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئا من التحريف والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول وليتاب محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع جرح وانتقاد هاش ١٢-

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام
الذى متعلق فى ذلك الابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لا بد فى تاريخ
تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانما هل كانت موسسة على الاستبداد
والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن
انا اشدك بالله اما كان لاحد منهم ماثرة تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع
البلاد ومعدلة تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين وليس
هذا عارا عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم
امر خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمع لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن
التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل
والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى عدلهم سيرة وامثلهم
طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات
لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق
حقه لاستراح واستراحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من
الآخر واسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب
اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح
العباسيين لا لانهم العرب اولانهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان
دولتهم دولة عجمية وقد مرنصه فى ذلك سابقا

وحان لنا ان نذكر طرفا من ماثر بنى امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بنى امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودى فى مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان ياذن فى اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ××× فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمراة ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول اَعِزُّوه ويقول عُدى الىّ فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروه فى امره حتى اذا لم يبق احدٌ دخل فجلس على السرير ثم يقول ايذنوا للناس على قدر منازلهم فــاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلانٌ فيقول افرضوا له ويقوم الى

اخرغاب فلانٌ من اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم
يوتى بالغداء، والكاتب يقرء كتابه فيامر فيه، حتى ياتى على اصحاب
الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون اونحوهم
على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة "فلنرجع الان الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبدالملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبدالملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبدالله بن عمر ومحمد
بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج ولكن الدولة تحتاج فى بدايتها واول نشاءتها

الی مثال ذلک وهذا ابومسلم الخراسانی مؤسس الدولة العباسیة قتل ستمایة الف رجل صبرًا وهذا ابوجعفر المنصور فعل بالهاشمیین مالم یسبق له نظیر فی الاسلام ومع ذلک فانی اعوذ بالله ان اقوم ذابًا عن الحجاج ومدافعًا عنه“

اما الولید فکان اهل الشام یفتخرون به وحق لهم ذلک قال صاحب العقد الفرید

”کان الولید عند اهل الشام افضل خلفائهم واکثرهم فتوحًا واعظمهم نفقة فی سبیل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدینة ووضع المنابر واعطی المجذومین حتی اغناهم عن سوال الناس واعطی کل مقعد خادمًا وکل ضریر قائدًا وکان یمر بالبقال فیتناول قبضة فیقول بکم هذا فیقول بفلس فیقول زد فیها فانک تربح“ وهو الذی وسّع مسجد النبی وذهّب البیت قال الیعقوبی ان الولید بعث الی ملک الروم یعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فلیعنه فیه فبعث الیه بمایة الف مثقال ذهبًا ومایة فاعل واربعین حملا فسیفساء ۔ وبعث الولید الی خالد بن عبدالله القسری وهو علی مکة بثلثین الف دینار فضربت صفائح وجعلت علی باب الکعبة ۔ فکان اول من ذهّب البیت فی الاسلام وحج الولید سنة ۹۱ لینظر الی البیت والی المسجد وما اصلح منه والی البیت وتذهیبه“

وقال الیعقوبی کان اول من عمل البیمارستان للمرضی ودار الضیافة واول من اجری علی العمیان والمساکین والمجذومین الارزاق“

وقال السیوطی فی تاریخه الخلفاء ”وکان مع ذلک (ای کونه جبارًا ظالمًا)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين؛

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعائم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضربت فى كل ذلك بسهم؛

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطّلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنّمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم ففتحوا اطرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزائر البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطينية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمد الثقفى احد ابناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والنوبة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فی سعة الملك و من يباريهم فی كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك فی الرعية ليس فی سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تانق فی امور المملكة ونظر فی امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فی عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فی امور اهلها ليسوا عند ذوی الخبرة من اهل التاريخ اسمی منزلةً واعلی مكانةً من قطاع الطريق الذين يعثون فی الارض مفسدين اما ملوك بنی امية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر فی امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شیء كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التی هی كالطل من الوبل ما الصانع فانه حصن مشلم المتقب علی بن حسان بن ماهون الانطاكی وحفرله خندقا وبنی حصن قطرغاش وحصن مورة و حصن بوقا من عمل انطاكية وبنی سعيد بن عبد الملك سور الموصل و هو الذی

هدامه الرشید فرش الموصل بالحجارة ابن تلید صاحب شرطة المروانیین وسار العباس بن الولید الی مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس الیها وبنی لها مسجدا جامعا واسکن مسلمة بن عبد الملک مدینة الباب اربعة وعشرین الفا من اهل الشام علی العطاء وبنی هریا (مخزنا) للطعام وهریا للشعیر وخزانة للسلاح وامر بکبس الصهریج ورم المدینة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فی سنة ۸۳ مدینة واسط بین الکوفة والبصرة وبنی مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سلیمان بن عبد الملک فی ولایته مدینة الرملة ومصّرها وبنی فیها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنی والصهاریج وبنی احد قوادهم عقبة بن نافع الفهری بافریقیة قیروانا واحدثوا غیرها من المدن والحصون والارباض فی الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فکان موضع قیروان غیضة ذات طرفاء وشجر لا یرام من السباع والحیات والعقارب القتالة فاحدثوا فی تلک المدینة الزهراء فاصبحت طرق افریقیة آمنةً مستأنسة بعد ماکانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالک وکانت الطریق فیما بین انطاکیة والمصیصة مسبعة یعترض للناس فیها الاسد فوجّه الولید الیها اربعة الف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذکر ما کتب ابن الاثیر فی حوادث سنة ۸۸ "ان الولید کتب الی البلدان جمیعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وکان الموضع الذی فیه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر و عمر
ما هناك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ۸۰ فى زمن عبد الملك امر عامله
بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على فواه
السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى
ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة
خللها و اماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة
مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق
فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون
الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من
الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر
ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر نافذ ونهر خيرتان
ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزرو نهر حبيب ونهر ذراع ونهر
ابى بكرة وغيرة من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها بالبصرة[1] فما بال
غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى
وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجائب

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فی کثرة نفقاته وعظمة بنائه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فوانشهر نا علی عام

وبنو امية هم اول من اتخذ دار الضرب فی الاسلام فکسوا به الاسلام

رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس وتجوه عنا وعدة الروم بنقش شتم

النبی صلی الله علیه وسلم علیها وهم الذین نقلوا الدفاتر والدواوین عن

الفارسیة والرومیة والقبطیة الی العربیة فزادت العربیة انتشارا ونفوذا

ولم یمض برهة من الدهر حتی اصبحت هذه البلاد عربیة النزعة واللسان

وهم اول من بنی مستشفی فی الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانین جعلوا

فیه الاطباء وامروا بحبس المجذومین واجروا لهم الارزاق وهم اول من

انشاء دار العمیان وهم اول من عمل دار الضیافة بعد عمر بن الخطاب وهم

اول من رق للایتام وتحنن الیهم ورتب لهم المودبین لیعلموهم،

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد نفخ فیهم عجزه وزهر بدره فالقرآن الذی هو عمود الاسلام

وراس العلوم وینبوع المعارف ادرک الامة قبل اختلافها فیه عثمان بن عفان

وهو اموی ثم بعد ذلک اختلط العرب بالعجم واحتکت بهم فسدت لغتها

واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فکثر التصحیف فی القرآن

سله راجع لکل ذلک فتوح البلدان للبلاذری،

سله۲ الیعقوبی ذکر الولید،

سله۳ السیوطی ذکر الولید،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتابه فوضعوا النقط
والاعجام[1] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما
الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرة برّتها الاسلام لا یسا ویها مبرة
واعظم منة مُنّ بها علی الدین لا یوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها
فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث
الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین
لم یحفظوه[2] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم
دُوّن التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبد الملک[3] ثم مجاهد

اما الحدیث فکانوا یکثرون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم
بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله
وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح
صائحٌ من بنی مروان فی موسم الحج الا لا یفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح،
اجلالا لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[4] وکان عبد الملک امر الحجاج وهو امیره

---

[1] ابن خلکان ذکر الحجاج، ومیزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار

[2] العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

[3] ابن خلکان ذکر عطاء،

[4] مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبدالله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالا لهم وهم اساطين الحديث وائمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]
اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد ابن ابيه
وهو والى العراقين يوميا ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم رايا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

---

[1] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضعه واخذ عنهما وضعه عنبسة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضرمي وعنه عيسى بن عمرو وعنه الخليل[ا] وهؤلاء كلهم كانوا في عصر بني امية وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر فقد فقي عصرهم نفقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم فحول الشعر وامراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمي وجرير الخطفي والاخطل التغلبي وعمر بن ابي ربيعة القرشي وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ونصيب هؤلاء كلهم كانوا يقصدونهم بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزينة للغة،

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيرونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة و كانوا يرسلون ابناءهم الى البادية ليتسلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادية وقد جمع الوليد بن يزيد عبد الملك ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[ب]،

اما علم التاريخ والسير والمغازي فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره فحول اصحاب السير والمغازي هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهري صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤

[ا] ابن خلكان المجلد ٢ صفحة ٣٨٠، [ب] الفهرست صفحة ٩١،

وموسیٰ بن عقبۃ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وھؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[۱]
ووضع فی ایامہم عوانۃ المتوفی سنۃ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان للملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ثم یقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شریۃ من
صنعاء الیمن وسألہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامرہ ان یدون ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضین[۲]
واخذ عنہ اناس سماھم ابن الندیم وکان من رواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارف بایام العرب واحادیثہا (الفہرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان ہشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ جبلۃ بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ وامر ہشام النقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتہم وتراجم رجالہم وکان ھذا الکتاب مصورا تم نقلہ سنۃ ۱۱۳

---

[۱] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ،

[۲] کتاب الفہرست صفحۃ ۲۴۳،

راه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلها الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اول نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویه فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزائن الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثه فی ایدیهم[۱] وخالد ابن یزید بن معاویة حکیم آل امیة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر ومنهم مریانوس الرومی الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا والطب وکان بصیرا بهذین العلمین متقنا لهما وله رسائل دالة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المار ذکره رسائل رسطاطالیس الی الاسکندر رفبناء علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

[۱] اخبار الحکماء، وعیون الانباء،

واستدناهم فی الاسلام هم اول من امر بنقل العلوم الی العربیة فی الاسلام هم اول من انشأ خزاین للکتب فی الاسلام وقد اضربنا صفحا عما کان لال امیة بالاندلس فی السیاسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجلیلة والسیر العادلة فهل لک ایها الفاضل المؤلف الی الاذعان للحق من سبیل والی الرجوع من ضلال الرای من طریق،

صنیع المولف بالعباسیة عهدنا الوحوش الضاریة مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وکونها مطبوعة علی الافتراس والفتک والتروی بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عایلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف و الغضب بالحنان فبینما اسد هصور کاشر عن الانیاب کالح الوجه مستبشع المنظر کریه الهیئة اذ هو هش بش حنون عطوف یذوب لطفا ورقة وکذلک شان قواد الجند وابطال الحروب فانک تری احدهم اذا قاتل الاکفاء وناطح الاقران فهو شهاب ینقض و نار تلتهب وسعیر تفور و اذا عاشر الاصحاب فهو الینهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وجمعنا عودة فی معاملته مع اعدایه (بنی امیة) فلننظر کیف حاله فی معاشرته مع اصدقایه (العباسیة)

قال المولف.

" فخیب بعضهم الی المنصور ان یستبدل الکعبة بما یقوم مقامها فی العراق و

تکون حجا للناس فبنی بناء سماه القبة الخضراء تصغیرا للکعبة وقطع المیرة

فی البحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحة ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحة ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون، فاخذ اشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۳۱)

غیر خاف علی احد ان العباسیین افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فعظم فخرهم وابین حججهم انهم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو فحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبة فی سامرا وجعل لها طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقائم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فهو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا انتہا سیئة من بنی العباس قضی علیہم من غیر محاباة بہم ولا میلٍ الیہم وکذلک اذا اعرضت له حسنةٌ من بنی امیة فهو یوفی حقہم من الاستحسان وحسن القول وتنویه الذکر هیہات هذا کان رجاؤنا فخاب الظن وکذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذکر بنی امیة عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدین وذکر فیه قتال عبد الملک مع ابن الزبیر فقلب الروایة کما اسبقنا ذکره فلو کان مغزی المولف الصدق وبیان الحقیقة لکان یعقد بابا للعباسیة ایضا یذکر فیه استخفافهم بالکعبة وانکارهم لنزول لعنوانٍ وههنا موضع نظرٍ الی دقة مکیدة المؤلف وحسن احتیاله فانه یرید من طرف الغض من الکعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسیة والذب عنہم لاجل انهم کسروا شوکة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمودد ولتهم فذکروا استخفافهم بالکعبة ولکن مغموسًا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامیة لیاخذ بطرفی المطلوب ویفوز ببغتییه معًا،

اقا کشف الجلیة عن اصل الحال فالامر انّ من یدعی الخلافة (وهی منصب دینی) ویرشح لها نفسه لا یجد الی ذلک سبیلا الا بالتظاهر بالدین والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء کلمته ورفع مناره وحمل الناس علی تعظیم شعائره والتدلی الی خاصة القائم به لیجلب عطف القلوب وجذب الامیال ورضاء العامة والتحبب الی الناس ولذلک کان الخلفاء (بنو امیة

والعباسية كلاهما) يصلّون بالناس ويؤمّونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم
او يرسلون من خاصّتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك
لما اراد اهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كفّ اصحاب
عليّ من القتال ولما قال عليّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم ترتدع عن هذا
خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضي بالحكمين وفق رضاه ولما فعل يزيد
ما فعل ضجّ الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلاً ولما اراد الحجاج
قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق
تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق
قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدّر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل
تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر
شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس
على انكار القرآن والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة
بابن الاثير وغيره فكله تحريف وتدليس وسوء تأويل ولولا اني سئمت
من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبيّنت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ۲۱۸ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقاراً فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی فی مصر فأصبح لفظ العربی مرادفاً لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة الکلب اطرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون معه نبی ینصره الله به (الجزء الثانی صفحه ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المؤلف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراک وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم الامر والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذکر ذلک فی غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحاً الیه وشفاءً لحزازته وهزةً لعطفه ونیلاً لاربه ومع ان الواقعة مکذوبة او محرّفة علی جری عادته فنحن لا ننازعه فی ذلک ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول ذا امدح احد مثلاً دولة افرنسا وقال انهم ذللوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلّدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمّة الامور یولّون ویعزلون وینفقون ویسکون فهل هذا یکون مدحاً ترضی به دولة فرنسا او یکون هذا عاراً یستحی منه ومسبّة یستنکف عنها وشناعة تشمئزّ عنها القلوب وانصف من نفسک ماکان حظّ العباسیین من تولیة الاعاجم اما آل برمک فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلک استأثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيدُ الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسةٌ تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحًا كسد سوقه وخاب صفقته۔ فدبّر لذلك حيلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية وتارةً بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتملا لها عذرًا واذا كررت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّد ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام فى اول مرة نهضة عربيّة والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس فلاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب وتمكن هذا الاعتقاد فى الصحابة لما غلوا فى فتوحهم وتغلبوا على دولتى الروم والفرس فنشأ فى اعتقادهم انه لا ينبغى ان يسود غيرا لعرب ولا يتلى غير القرآن"

"اما فى الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ فى الاذهان انه لا ينبغى ان ينظر فى كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم فى دولتى الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

"وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس فى الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حريق الخزانة الاسكندرية لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب فى ذلك واستدل عليه بستة دلائل[1] نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالاً،

قال اولاً،

---

[1] الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رایت فیما تقدم رغبة العرب فی صدر الاسلام فی محو کل کتاب غیر القرآن بالاسناد الی الاحادیث النبویة وتصریح مقدمی الصحابة"،

الذی ذکر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل علیه ههنا اقوال منها "ان الاسلام یهدم ما کان قبله" وکلنا یعرف ان المراد به ابطال عواید الجاهلیة ومزعوماتها ولیس المراد محو الکتب او احراق الخزاین ولکن لما کان المؤلف دخیلا فینا غریب الذوق والمعرفة حمل الکلام علی غیر محله اولعله عارف یتجاهل وبصیر یتعامی

ومنها قول النبی علیه السلام "لا تصدقوا اهل الکتاب ولا تکذبوهم وقولوا آمنّا بالذی انزل علینا وانزل علیکم والهنا والهکم واحدٌ"، ولا شیٔ متعلق فی هذا بل هو یخالف لما یریده المؤلف فان الحدیث یامر بالایمان بما انزل الی اهل الکتاب اما الاغفال عن تصدیق اهل الکتاب وتکذیبهم فلاجل کون اهل الکتاب غیر موثوقین بهم فی الروایة ومنها ان النبی صلی الله "رای فی ید عمر ورقة من التوراة فغضب حتی تبین الغضب فی وجهه ثم قال لم آتکم بها بیضاء نقیة والله لو کان موسی حیاً ما وسعه الا اتباعی" وهذا لا مستند فیه للمؤلف فان النبی صلی الله علیه وسلم خاف علی عمر عنایته بالتوراة والتصدیق بکل ما فیها مع کونها مغیرة لعبت بها ایدی النقلة ولذلك قال لم آتکم بها بیضاء نقیة، وهذا لا یستلزم بل لیس فیه

ادنیٰ اشارة الی نحوہا والحاق الضرب بھا ونزیدك ایضاحًا للکلام بما فیه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القران وعلیه المعول وهو المستمسك فی کل باب وکان هو العروة الوثقی فی هذا العصر للصحابة واهل القرن الاول والقران له عنایة کبری بالتوراة والانجیل وهو الذی نوه بذکرهما وعظم شانهما، فقال

فاسئلوا اهل الذکران کنتم لا تعلمون والمراد بالذکر التوراة،

انا انزلنا التوراة فیها هدی،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجیل وما انزل الیهم من ربهم لاکلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بین یدی من التوراة،

مصدقا لما بین یدیه من التوراة،

ما کان حدیثا یفتری ولکن تصدیق الذی بین یدیه (ای التوراة والانجیل)

ولاجل ذلك کان عدة من اجلة الصحابة منقطعین الی قرءة التوراة والانجیل والاعتناء بحفظها ودرسها ولم یکتفوا بهابل اخذوا یروون ویتفاوضون کل ما وجدوا من اقاصیص اهل الکتاب ومرویاتهم وقد اعترف بذلك المولف نفسه فقال،

"وقد رایت ان العمدة فی التفسیر علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، فكانوا اذا استلوا عن شيء اجابوا بما عندهم من اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله ٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه"، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن

"فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اى القرآن) عن كل كتاب سواه ومحوا ما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن
منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل
القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه
المؤلف فمن روى الاسرائيليات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير
ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد لك توضيحا وتفصيلا ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من
الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا
الى الرواية ، لم يلد انه احد فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة
ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع
عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب
ما رايت احدا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى
فى طبقات الحفاظ "كان من ايام النبى صوّاما قوّاما تاليا لكتاب الله طلابة
للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا" وكان اصاب جملة من
كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى
وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وکونه عالم اهل الکتاب روایة بالاسناد یرفعه الی عبد الله بن سلام انه جاء
الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال انی قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء
هذا لیلة وهذا لیلة"، فهذا ان صح ففی الرخصة فی تکریر التوراة وتدبرها،
ومنهم کعب الاحبار کان من کبار اهل الکتاب، اسلم فی زمن ابی بکر
قال الذهبی قدم من الیمن فی دولة امیر المومنین عمر فاخذ عنه الصحابة
وغیرهم واخذ هو من الکتاب والسنة عن اصحابه"، فهذا کانه تصریح فی ان
الصحابة اخذوا عنه علم اهل الکتاب،
ومنهم وهب بن منبه قال الذهبی فی ترجمته "وعنده من اهل
الکتاب شیء کثیر فانه صرف عنایته الی ذلك، وکان ثقة واسع العلم ینظر
بکعب الاحبار فی زمانه، وعن وهب قال یقولون عبد الله بن اسلام اعلم
اهل زمانه وکعب اعلم اهل زمانه،
فهل بعد کل هذا یصح قول المولف، ان الصحابة ومن یلیهم کانوا
یقولون انه لا ینبغی ان یقرء کتاب غیر القرآن ومحوا ما کان قبلهم من
العلم عیاذا بالله،

قال المولف

ثانیا جاء فی تاریخ مختصر الدول لابی الفرج" ثم نقل روایة الاحراق
برمتها واطال فی اثبات ان ابا الفرج لیس باول من روی هذه الروایة

بل ذکرها عبد اللطیف البغدادی عرضا فی ذکره عمرو الوارزی وذکرها القفطی فی تاریخ الحکماء“

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذکر هذه الروایة بالقفطی والبغدادی ولکن ماذا ینفعه ذلک فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذکر الروایة من غیر اسناد ومن غیر احالة علی کتاب

تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الکتاب واوهامهم فسبب ذلک انه یزن التاریخ الاسلامی بمیزانٍ غیر میزاننا ولذلک یصغی الی کل صوتٍ ویستمع لکل قائل لا یعرف ان هذا الفن له اصول ومبادو قواعد وما لم یکن الروایة مطابقة لهذه الاصول الیقینیة لا یلتفت الیها اصلا منها ان الناقل للروایة لابد ان یکون شهد الواقعة فان لم یشهد فلیبیّن سند الروایة ومصدرها حتی یتصل الروایة الی من شهدها بنفسه

ومنها ان یکون رجال السند معروفین بصدقهم ودیانتهم،

ومنها ان لا یکون الروایة تخالف الدرایة ومجاری الاحوال،

ولذلک اهتم مورخو الاسلام قبل کلّ شیٔ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سیرهم واحوالهم ودیانتهم ومحلهم من الصّدق فدوّنوا کتب اسماء الرجال وکابدوا فی ذلک محنة یضیق عنها النطاق البشری فعملوا کتبا غیر محصورة منها الکامل لابن عدی والثقات لابن حبان وتهذیب

الکمال للمزی وتھذیب التھذیب لابن حجر وطبقات الصحابۃ لابن سعد ولابن ماکولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر وتھذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذھبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد کتب القدماء من مورخی الاسلام کلھا او اکثرھا کتاریخ البخاری وسیرۃ بن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبۃ وغیرہ مسلسل الاسناد مبنیۃ الاسماء لیمکن نقد الروایۃ ومعرفۃ جیدھا من زیفھا،

فاوّل شیٔ یھمنا فی ھذا البحث ان نری ھل ذکر القفطی والبغدادی ھذہ الروایۃ مسندۃ وذکرا مصدر الروایۃ واسماء رواتھا ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فایُّ عبرۃ بروایۃ تتعلق بالقرن الاول یذکرانھا من غیر سندٍ ولا روایۃ ولا احالۃ علی کتاب،

اما کتب القدماء الموثوق بھا فلیس لھذہ الروایۃ فیھا اثر ولا عین، ھذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبۃ واخبار الطوال للدنیوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحنا ھا وکررنا النظر فیھا ومع ان فتح الاسکندریۃ مذکورٌ فیھا بقضھا وقضیضھا لیس لحریق الخزانۃ فیھا ذکرٌ،

وعلاوۃ علی ذلک فان فی فتح مصر کتبا مختصۃ بذلک مثل خطط مصر

للكندی وکشف الممالك لابن شاهين، وتاریخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و
تاریخ مصر لابن برکات المخوی وتاریخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذکرها
صاحب کشف الظنون، والمقريزی جمع واوعى كل ذلك ولم يترك رواية
ولا خبرا يتعلق بمصر الا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند
ذكر فتح الاسكندرية،

قال المولف،

واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم
ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامى واشتغال المسلمين بالعلم
ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين
فحذفوه ولعل لذلك سببا اخر، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام عن مثل المؤلف وكيف يقدر ديانة مورخى
الاسلام وشدتهم فى تحرى الصداق ونزاهتم عن التغير والتحريف وبراءة
ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غريزته تعمد الكذب فى التحريف
والخيانة والمحو والاثبات:

قال المولف،

ثالثا ورد فى ما كن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكاتب فارس
وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

انظر الی هذا الکذب الفاحش والخدیعة الظاهرة فان صاحب الکشف ذکر ما ذکر من عند نفسه من غیر نقل روایة ولا استناد ولا استشهاد بکتاب ولا ذکر ناقل ومورخ وصاحبنا یقول انه ورد فی اماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق المکاتب وقد لخصها صاحب کشف الظنون فاین الاماکن الکثیرة واین التلخیص اما قول صاحب کشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وکذلک قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الی کبیر اعتناء وزیادة احتیاط ولذلک لما ذکر ابن خلدون فتح مصر واسکندریة وهو المظنة لذکر هذه الواقعة لم یتفوه بهذه الروایة اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب کشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم یذکرا انهما من این اخذا هذه الروایة لا یعبأ بها ولا یلتفت الیها،

قال المولف،

رابعًا ان احراق الکتب کان شایعًا فی تلک العصور، کما فعل عبد الله بن طاهر بکتب فارسیة (الجزء الثالث صفحه ۴۰)

یا للعجب، عبد الله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر ممتاز بکونه عصر العلم والمعارف وقد کانت للدولة ورجال حاشیتها وغیرهم عنایة کبری بکتب الاوائل وکانوا یستجلبون الکتب من فارس وبلاد الروم وغیرها تجد تفاصیل ذلک فی فهرست ابن الندیم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التي لم يذكرها احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف انّ احراق الكتب كان شايعًا فى تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان فى تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعى فى تائيد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر فى تائيد ذلك عمل امبراطورة الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

فى تاريخ الاسلام جماعة من ائمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذكر بعض الحوادث فى تائيد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واىّ حجةٍ فى ذلك لاحراق كتب قوام اخر،

إنّ هذه القياسات الواهية لا تغنى شيئًا ولكن لوارد نا ان نستشفى

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین باثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلک عهد النبی صلی اللہ علیہ وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکره القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار اللہ وذمة محمد النبی رسول اللہ علی اموالهم انفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحة ۴۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا الاصل ای ذمة اللہ ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر محفوظ باقٍ علی حیالتها الاصلیة، وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامان علی انفسهم ودمهم واموالهم وصاعهم ومدهم وعددهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا یتعرضون فی شیٔ منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیٔ من اموالهم وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزانة کتبهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم ان مسئلة احراق الخزانة الاسکندرية موضوعٌ مهم عند اهل
اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيا وممن الّف في هذا البحث اجمالا وتفصيلا
المعلم وايت والمعلم دساسي الفرنساوي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار
وواشنگتن ارونگ ودريبر الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين
وكرچان وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوي في تاريخ الاسلام والمعلم
رينان الفيلسوف الفرنساوي في خطبة الاسلام والعلم، وارثر گلبين،
وللمعلم كريل الالماني رسالةٌ مستقلةٌ في هذا البحث قدّمها في المؤتمر الشرقي
الذي انعقد سنة ۱۸۷۸م، اَوْرَدَ فيها كل ما كتب الباحثون في هذا البحث
نفيا او اثباتا وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالة
في لسان الاردو وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها احد من اهل
الشام وطُبِعَ شطرٌ منها في جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققي اهل اوربا قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا
منهم جبن المورخ الشهير الانكليزي ودريبر الاميركاني وسيديو الفرنساوي
وكريل الالماني والمعلم رينان الفرنساوي عمدتهم في انكار ذلك امران الاول
انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثر في كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبري و
ابن الاثير والبلاذري وغيرها مما مرّ ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف و
القفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرًا للرواية

ولاسند- والثانی ان الخزانة كان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلك

بدلائل لا یمکن انکارها،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارة علی العرب"

ولذلك منعوهم من تدوین الکتب" وکان هذا الاعتقاد ناشئا فی

الصحابة والتابعین و تمسك به جماعة من کبارهم وکانوا اذا استاذنوا ان یدونوا

علیهم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحة ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدة فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و

الصحابة کانوا یمنعون الناس عن الکتابة والتالیف ونحن لا ننکر ان هذا کان

مذهبا لبعض الصحابة والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلك وامروا بالکتابة

والتدوین اکثرهم عددا وارجحهم میزانا واوسعهم نفوذا وقد عقد المحدث المشهور

القاضی ابن عبد البر فی کتابه جامع بیان العلم (انظر صفحة ۳۶ طبع المصر)

بابا فی اثبات ذلك ونحن ننقل شطرا منها، قال "وعن انس بن مالك قال قال رسول الله

صلی الله علیه وسلم قیدو العلم بالکتاب وعن عبد الملك بن سفیان عن عمه انه سمع

عمر بن الخطاب یقول قیدو العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن

ابن عبد الله بن مسعود کتابا وحلف لی انه خط ابیه بیده وعن ابی بکر قال سمعت

الضحاك یقول اذا سمعت شیئا فاکتبه ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انه کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابي مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربي في كتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أ أقيد العلم قال قيد العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردي
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابي الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علي قال
سمعت خالد بن خداش البغدادي، قال ودعت مالك بن انس فقلت
يا ابا عبد الله اوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة
وكان يقول وددت لو ان عندي كتبي باهلي ومالي وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب لیل ورجل لایکتب ویستمع فذلک یقال له جلیس العالم ورجل
ینتهی وهو خیرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من کره کتابة العلم قال کرهه قوم ورخص فیه اٰخرون قلت له
لو لم یکتب العلم لذهب قال نعم لولا کتابة العلم ای شئ کنا نحن قال اسحق و
سالت اسحق بن راهویه فقال کما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
کان ثقة قال سمعت سفیان الثوری یقول انی احب ان اکتب الحدیث
علی ثلاثة اوجه حدیث اکتبه ارید ان اتخذ دینا وحدیث رجل اکتبه
فاوقفه لا اطرحه ولا ادین به وحدیث رجل ضعیف احب ان اعرفه
ولا اعبأ به وقال الاوزاعی تعلم ما لا یوخذ به کما تتعلم ما یوخذ به و
عن سعد بن ابراهیم قال امرنا عمر بن عبد العزیز بجمع السنن
فکتبناها دفترا دفترا فبعث الی کل ارض له علیها سلطان دفترا وعن
ابی زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ویحیی بن معین یقولان کل من
لا یکتب العلم لا یومن علیه الغلط وعن الزهری قال کنا نکره کتاب العلم
حتی اکرهنا علیه هؤلاء الامراء فرأینا ان لا نمنعه احدا من المسلمین وذکر
المبرد قال قال الخلیل بن احمد ما سمعت شیئا الا کتبته ولا کتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنی

الضغط علی اهل الذمة

ادعی المولف ان عمر بن الخطاب کتب
عهدا للنصاری اهل الشام وذکر نصه منقولا عن سراج الملوک للطرطوشی

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان الطرطوشى ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لاكتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف لكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ×× فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال
التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئا واخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئا (كتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۸۱)

فانظر الى هذا العدل الذي عجز البشر عن اتيان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المؤلف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية

اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماء التقطها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شيء منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج
احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدي
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ۷) ظن الرجل ان استخدام القياس والرأي من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمي بهذا الاسم هو ربيعة الرأي صرح بذلك
السمعاني في الانساب وهو من اهل المدينة وممن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك رض والشافعي رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب اَرومةً وموطناً واداةً وانّ الفارق بين اصحاب الرأى والحديث ليس
استعمال القياس وفصل القضية فى ذلك تجده فى كتاب حجة الله البالغة لشاه ولى الله
الدهلوى من متاخرى حكماء الاسلام۔ ثم قال المؤلف "فكان من جملة مساعى المنصور
فى تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انه
نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابا حنيفة النعمان فى
الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه"

ظلمات بعضها فوق بعض، ما كان ابو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك
فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم
ولذلك اراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه
وامر بضربه حتى مات فى السجن، اما ما قال عن تصغير امر الامام مالك فيخالف الروايات
الصحيحة الثابتة قال القاضى ابن عبد البر فى كتاب جامع العلم (صفحة ۶۴) عن
محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس يقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانى فدخلت
عليه فحدثته وسألنى فاجبته فقال انى عزمت ان امر بكتبك هذه التى وضعتها
يعنى الموطاء فينسخ نسخاً ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة و
امرهم ان يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث
فانى رايت اصل هذا العلم رواية اهل المدينة وعلمهم الخ۔

قال "وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به

(الجزء الثالث صفحة ۱۲۸ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فی هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذکر فی تاریخه فی ترجمة ابی حنیفة بعد ذکر محاسنه ان الخطیب البغدادی اطال فی مثالب ابی حنیفة ثم انکر علیه ذلك وقال ما كان یعاب ابو حنیفة الا بقلة العربیة فانه قال ولو رماه بابا قبیس ثم اعتذر له بنوع من العذر لیس فیه اقل شیء یومی الی ان ابا حنیفة كان لا یحب العرب والعربیة، ثم ان ابا حنیفة كان ناقما علی العباسیة المحامین للفرس وكان من شیعة زید الامام ابن الامام زین العابدین وكان تلمیذ الحماد وهو تلمیذ لابراهیم النخعی وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته ای ابا یوسف ومحمدا وزفر كلهم عرب، اما لحن ابی حنیفة فمعلوم انه عجمی وكم من الاعجام الذین هم رؤس الادب ووجوه العربیة كحماد الراویة وغیره كانوا یلحنون وكان هذا طبیعتهم وغریزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل یصلح لسلوك هذا الطریق الوعر والخوض فی غمار هذا البحث الدقیق الذی یحتاج الی التضلع فی العلوم الاسلامیة والتوسع فیها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرای وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكمیل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عرفناه قبل ذلك فی سوء طویته وكامن حقده وتحامله علی العرب واعتیاده بالتحریف وتمرنه بسوء التاویل وتلبیس الكلام وهناك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقم) فلما افضى الامر الى بني العباس و اراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها في امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ۱۷)

وهذا كله كذب واختلاق والمنصور ابعد محلا وابرء ساحة من ان يبني بناء ارغاما للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا اجبارا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرح بذلك المقريزي (الجزء الثاني صفحة ۱۴۳) فقال "وذكر البلاذري ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب في قطع الميرة والمولف يقول ان قطع الميرة انما كان ارغاما للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته۔

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بني امية في الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في الادب وتنشيطا لاهله لان الشعر سجية في العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت (الجزء الثالث صفحه ۱۰۲) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب فى رفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسةً،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميلُ الى القياس متواصلا فى بنى العباس والاعتزال قريب المذاهب الى اصحاب الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ۱۴۰) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين الاعتزال والراى ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم (الا الشاذ النادر منهم) كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا ناقمين على الاعتزال كانوا يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قالُ فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۲۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالیٰ وهو صفة قدیمة فالمعتزلة قالوا لحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لایقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالیٰ منزل الی الرسول فهذا لایختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بجدة اتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلک فی بغداد بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلک سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف "قال الیعقوبی وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل انه انصرف بغیراذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من تقرس ولا یمکنني المشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمٰعیل الحارثی فقال السلام علیک یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءک وانصارک واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۲ و ۵۴۶)

ان المامون استوزر رحمن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و
قالوا انك قدمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من
السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من
اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها ،

قال المؤلف " ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول
وخصوصا في اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا
لراي الخليفة ولذالك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها
في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شئ حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف
ليست من القران لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء
الثالث صفحة ۱۰) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية
الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف
من القران وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور
القران كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد
واثنان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم
ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما ،

